



لا أُخْطئ القول إذا ما قلتُ: إنَّ شريحة لا يأس بها من الثوار قد ارتاحت نفوسُهم عندما علَّتْ نبرة الحديث عن الضربة التأديبية التي تنوِي الإدارة الأمريكية توجيهها لنظام الأسد بعد مجرزة الغوطة الكيماوية فجر الحادي والعشرين من شهر آب، الفائت؛ و ذلك أنها لو وقعت لشفت نفوسهم من ألمٍ يعتصرها من هول ما رأوا من فجور هذا النظام بحق أبناء سوريا.

غير أنَّ الأمور قد جرت بحسب ظواهر الأمور على غير ما كان الكثير من المتابعين يتوقعون؛ فلقد أسفرت جملة التفاهمات السرية بين روسيا وأمريكا من طرف، وإسرائيل وكلتا الدولتين من طرف آخر على تنحية الخيار العسكري (حالياً) جانبًا، والالتفات إلى نزع السلاح الكيماوي من قبضة الأسد، ووضعه تحت الرقابة الدولية؛ تمهدًا لإلتلافه، و من ثمَّ انضمام سوريا إلى معاهدة حظر انتشار الأسلحة الكيماوية.

الأمر الذي فسره عددٌ من المتابعين على أنه خدمة للنظام، و من ورائه إسرائيل أيضًا، و هو الفهمُ الذي أعطى إشارة له بالتفاضي عن ضرب بؤر التوتر بينه وبين الثوار بشتى أنواع الأسلحة طالما أنها خلت من الكيماوي، و طالما أن الجارة اللوصية قد منحته قدرًا جديداً من الرضا جراء تصرفه هذا.

بغض النظر عن صحة التكهنات حول ما جرى من محادلات أسفرت عن توقيع اتفاق تدمير السلاح الكيماوي؛ فإنَّ الأمر قابلٌ لأن يُقرأ من زاوية أخرى يتجلّى فيها كثيرٌ من الإيجابيات التي ستتصبُّ في خانة الثورة السورية، و لعلَّ من أهمها ما يأتي:

1- إنَّ التخلص من الأسلحة الكيماوية من لدن النظام قد أراح الثوار من سؤال طالما لاحقهم خلال محادثتهم مع ممثلي أمريكا، و الدول الأوروبية الأخرى الصديقة لهم: ماذا أنتم صانعون حيال الأسلحة الكيماوية بعد سقوط الأسد.

2- إنَّ الأسد في فعلته هذه قد أسقط عنه ورقة توت المقاومة و الممانعة، التي طالما تغنى بها هو، و أتباعه على مدى أربعين عاماً خلت.

3- إنَّ الضربة الأمريكية ما تزال خياراً موضوعاً على الطاولة، و لربما تكون أعنف من المتوقع إذا ما تلَّكَ الأسد في تنفيذ تعهداته بالكشف عن كامل مخزونه من هذا السلاح، و بهذا الصدد يكون الرئيس أوباما قد أعزَر أمام المشرعين الأمريكيين

بغرفتيهم؛ بأنه قد أعطى الدبلوماسية فرصة النجاح في حين أن الأسد قد ألجأه إلى استعمال القوة بمناوشته التي طالما عُرفت عنه.

و في هذه الحالة سيستخدم أوباما صلاحياته الدستورية في استخدام القوة من غير الرجوع إلى غرفتي الكونغرس. و لعله من نافلة القول أن نذكر المتابع للحدث السوري بأن العراق لم يقع فريسة تحت القبضة الأمريكية إلاً بعد أن قامت فرق التفتيش الأمريكية بإعطاء تقريرها بأنه قد غدا خلواً من أسلحته الردعية في أوائل عام (2003م). و هذا ما نتوقع أن ينتظر سوريا في قادم أيامها؛ إذ ليس من الحكمة أن يتم ضرب الأسد و في جعبته (ألف طن) من الغازات السامة، و هو الذي يعيش لحظات يأس و قنوط بعد إشعاره بانتهاء أدواره الوظيفية التي عاش طيلة أربعين سنة و هو يؤديها على خير وجه.

فلا يمكن لأمريكا و من معه من الحلفاء و في مقدمتهم فرنسا أن يأمنوا ألا يطلقها تجاه الجارة إسرائيل، و هو ما عبر عنه صراحة الرئيس أوباما.

4. لقد جنّب الله الثورة كثيراً من الهرج فيما لو وقعت الضربة الأمريكية و سقط من جرائها النظام؛ إذ سيطالهم ما طال المعارضة العراقية التي جاءت إلى بغداد على أعقاب التدخل الأمريكي.

5. إنّ ما رأيناه من تدمير للبني التحتية، و المؤسساتية العراقية من جراء التدخل الأمريكي في العراق؛ ليجعل المرأة يضع يده على قلبها، و يتوجس خوفاً من أن يحصل ذلك في سوريا فيما لو حصلت تلك الضربة. و ذلك أنّ المرأة لا يعرف حينها من أين تأتي القذائف (الغبية منها، أو الذكية)، و هو ما دمر العراق (دولة و مؤسسات).

6. إنّ سقوط نظام الأسد في تلك الأثناء - و حال الثوار كما نرى و نعلم - أمرٌ لا يعود على الثورة بكثير فائدة. فأين الحكومة التي ستسد الفراغ الذي كان سيحصل في اليوم التالي لسقوط الأسد؟ و حسناً فعلت قوى الثورة ممثلة بالائتلاف الوطني أن تداركت الأمر، و بادرت عشية هذا الاتفاق إلى تشكيل حكومة مؤقتة تباشر مهامها في الأراضي المحررة، تكون نواة حكومة طوارئ تتهيأ للقادم من الاحتمالات التي تنتظر سوريا؛ فلأيام حبل يكثير من المفاجآت.

لهذه الأسباب مجتمعة؛ أقول:

على أبناء الثورة أن يطمئنوا إلى القاسم من الأيام، و لا يجعلوا اليأس يدب إلى نفوسهم من جراء تضاؤل فرص معاقبة الأسد، و خروجه مؤقتاً بمهلة كسبها من جراء تنازله عن سلاح الردع الذي كان يتاجر به، و الذي كلف سوريا ملايين الدولارات المقطعة من جيوب الشعب؛ ففي هذا الذي حصل منه خير لكم، و وبال و شرّ عليه.

أرفلون نت

المصادر: